

أوزان الشعر

٢- الشعر الأوربي

للدكتور محمد مندور

الشعر الانجليزي

نأخذ لهذا النوع بيتاً من الشعر الإنجليزي وليكن مطلع
« مرثية في مقبرة بالريف » لتوماس جراي .

the curfew tolls the knell of parting day^(١)

نجدته مكوناً من ست تعاميل إيامية وكل تفعيل مكون من
مقطع غير مرتكز عليه ومقطع آخر مرتكز عليه . وإليك
وزنه مع رمزنا للارتكاز بالعلامة (-) وترك غير المرتكز عليه
بدون علامة :

the cur-few tolls - the knell - of par-ting day^(٢)

وما على القارىء الذى يريد أن يحس بوزن البيت إلا أن
يقراء مع المرور بخفة على المقطع الغير المرتكز عليه والضغط على
المقطع الذى يحمل الارتكاز

(١) ترجمته : « دق ناقوس المساء بنى النهار المديح »

(٢) الانجليز يسمون حرف « ت » إلى « و » وألى « ف » في المقطعين الثالث
والسادس ولسكننا جارينا التقسيم العلمى

ويسرنا أن نقرر مع هذا أنه لا يوجد في أسلوب أبي حديد
الشاب إسقاط قط

وأما مطابقة وقائمه للحقائق التاريخية فقد حاك في نفسى
شئ من ذلك ، ولو أننى أكتب في غير موضوع الشعر المرسل
لخففت في هذا الحديث . وقد يكون في كلامى على هذا النحو
شئ من التشكيك أظلم به المؤلف ... ولكن . ليطمئن . فلم
ينته المؤرخون في أمر عثمان وعلى ومعاوية بشئ ، ولا يزالون
مختلفين ...

أما الروح التى أملت المأساة ، فهى من غير شك نقر
الشباب المصرى المؤمن المسلم الحديث ... الشباب الذى يؤمن
بأن مأساة عثمان هى مأساة العالم الإسلامى كله .

(يتبع)

دمينى فضيلة

ومن البين أن ما يميز هذه المقاطع بعضها عن بعض ليس كما
كما قال الأستاذ خشبة بل الضغط الواقع على بعضها . وأما أن
هذا الضغط قد يزيد من كم المقاطع التى يقع عليها فهذه مسألة
تابعة . يمكن أن تغير من طبيعة هذا الشعر الذى يعتبر إيقاعياً
قبل كل شئ . ومن الملاحظ بوجه عام أن اللغة الإنجليزية
بوجه عام لغة إيقاع إذا قيست بلغة سيالة كاللغة الفرنسية .

الشعر المقطعى

هذا النوع من الشعر خاص باللغة الفرنسية ، وسبب وجوده
هو ما أشرنا إليه من قبل . فاللغة الفرنسية كما هو معلوم تطور
لغة اللاتينية على نحو ما تطورت لغتنا العامية عن اللغة الفصحى
مع المحافظة على النسب . ولقد كانت اللغة اللاتينية كما رأينا لغة
كفية تتميز بمقاطعها بعضها عن بعض بالطول والقصر ، ولكن
اللغة الفرنسية فقدت هذه الخاصية كما فقدت الارتكاز أيضاً .

فكل لفظة لاتينية كانت فى العادة تحمل ارتكازاً على المقطع
السابق للأخير ، وذلك ما لم يكن هذا المقطع قصيراً فإن الارتكاز
يسمى فى هذه الحالة إلى المقطع الثالث من الآخر . ولكن هذا
الارتكاز سقط من الفرنسية بسقوط الكثير من أواخر الكلمات
اللاتينية الأصل

فقدت اللغة الفرنسية إذن الحكم والارتكاز . فعلى أى
أساس يقوم إذن الشعر فيها ؟ والواقع أن موسيقى الشعر
الفرنسى ليست فى جوهرها موسيقى إيقاع ولكنها موسيقى
سيالة دقيقة ، ومع ذلك فالأمر فيها ليس أمر مقاطع متشابهة .

كل عشرة . أو اثني عشر أو غيرها تكون بيتاً من الشعر . بل
لا بد أن يكون هناك تقسيم لهذه المقاطع فى وحدات موسيقية -
إيقاعية إلى حد ما . فالوزن الأسكندري مثلاً ينقسم عند معظم
الشعراء الكلاسيكيين إلى أربع وحدات كبيت راسين :

Oui, je vieas | dans son temple | adorer | l'eternél^(١)

وفيه ترى كل تفعيلية مكونة من ثلاثة مقاطع (حرف
فى آخر كلمة temple يحذف فى القراءة) . ولكن هذه
المقاطع لا يتميز بعضها عن بعض بكم ولا ارتكاز ، وإنما يأتى
الإيقاع من وجود ارتكاز شعري على آخر مقطع من كل تفعيلية

(١) وترجمته : « نيم . لقد أنيت أجد الرب الخالد فى معبده »

زمنًا ما . وكل أنواع الشعر لا بد أن يكون البيت فيها مقسمًا إلى تلك الوحدات . وهي بعد قد تكون متساوية كالجزء هندا مثلاً ، وقد تكون متجاوبة كالطويل حيث يساوى التفعيل الأول التفعيل الثالث والتفعيل الثاني التفعيل الرابع وهكذا ولكن هذا الكم الذي يسمى في الموسيقى *mesure* لا يكفي لكي نحس بفواصل الشعر . فلا بد من أن يضاف إليه الإيقاع المسمى *rythme*

وقد رمزنا له بالعلامة (-) . وهذا الارتكاز كما قلنا ارتكاز ضغط وارتفاع معاً في التفاعيل الثلاثة الأولى وارتكاز ضغط فقط في التفعيل الأخير لسقوط الصوت عند الوقف هذا هو التقسيم الثالث عند الكلاسيكيين^(١) . وأما الرومانتيكيون فقد اعترضوا بالتقسيم الثلاثي ، فمكتور هييجو نفسه قد افتخر بتمزيق أوصال الوزن الكلاسيكي لهذا البحر في بيت ثلاثي شهير هو :

(٢) J'ai dit que c'est un grand niais l'alexandrin.

وهو مقسم كما ترى إلى ثلاث تفاعيل ، كل تفعيل أربعة مقاطع . وأما عن الإيقاع فيأتي من الارتكاز على أواخر الجمل كما ذكرنا بالنسبة للبيت السابق

هذا والتفاعيل الفرنسية ليست دائماً متساوية في عدد مقاطعها . ولقد كتب الأستاذ الكبير جرامو Grammont كتاباً هاماً جداً بعنوان *Le vers français, son harmonie et ses moyens* وفيه يظهر أن التفاعيل الفرنسية وإن لم تكن متساوية في الكتابة إلا أنه من الواجب أن تقرأها كأنها متساوية . فعدم التساوي هذا قد ساقط إليه غريزة الشعر عند المهووبين من الشعراء عند ما أحسوا بأنه لا بد من أن تسرع القراءة أو تبطل لتترجم ترجمة صحيحة عن مشاعرهم المتباينة . وإذن فمن واجب القارئ أن يسوى بين التفاعيل في كمها الرمي ثم يبحث بعد ذلك عن العلة فيما اضطر إليه من إسرار أو نباطؤ هذه هي أنواع الشعر الأوربي الثلاثة : كمي وارتكازي ومقطعي . ومن الممكن أن نستخلص منها عنصرين عامين يقوم عليهما كل شعر وهما ١ - الكم ٢ - الإيقاع أما الكم فنقصده به هنا كم التفاعيل التي يستغرق نطقها

(١) يسمى الأستاذ الزيات الكلاسيكيين بالأتباعين والرومانتيكيين بالابتداعيين ولكنهم جميعاً كانوا في الحق أتباعين . الكلاسيكيون أخذوا من اليونان واللاتين ، والرومانتيكيون أخذوا عن القرون الوسطى أي عن الأدب الروماني وهو ذلك الأدب الذي كتب باللغة أو اللغات الرومانية *langues romanes* واللغة الفرنسية إحدى هذه اللغات . فالرومانتيكيون قد فضلوا أن يستوحوا أديبهم القومي في القرون الوسطى بدلاً من الرجوع إلى قدماء الأغريق واللاتين وهذا هو سبب تسميتهم بالرومانتيكيين (٢) وترجمته : « لقد مزقت هذا الأبله الكبير المسمى البحر الإسكندري »

ولكي نضمن تحديد الفهم نعرف الإيقاع ؛ فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة . فانت إذا تقررت ثلاث فقرات ثم تقررت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة وكررت عملك هكذا تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد الثلاث فقرات الأولى ، وقد يتولد الإيقاع من مجرد الصمت بعد الثلاث فقرات الأولى لا بد إذن أن تكون هناك ظاهرة صوتية متميزة تحدث في أثناء نطق كل تفعيل وتعود إلى الحدوث في التفعيل الذي يليه . والأمر في الشعر الارتكازي واضح . فالارتكاز نفسه كما يميز بين المقاطع يولد كذلك الإيقاع . وأما الشعر الكمي فقد أحس القدماء بأن مجرد عودة مقطع طويل بعد مقطعين قصيرين مثلاً لا يكفي لإيضاح الإيقاع فدلونا على أن هناك ارتكازاً شعرياً يقع على مقطع طويل في كل تفعيل ويعود في نفس الموضع تقريباً من التفاعيل الأخرى . وكذلك الأمر في الشعر الفرنسي فهم لم يكتفوا بتقسيم البحر الإسكندري مثلاً إلى تفاعيل متساوية في الكتابة والقراءة معاً أو القراءة لحسب ، بل أضافوا إليه وجود ارتكاز ضغط وشدة ، أو ضغط فقط في آخر كل تفعيل وعودة هذا الارتكاز على مسافات زمنية محددة هو الذي يولد الإيقاع . ولكنه لما كان إيقاعاً قليل المدد خفيف الوقع ، فإن الشعر الفرنسي لا يعتبر بالنسبة للشعر الإنجليزي مثلاً شعراً إيقاعياً بل شعراً سيالاً كما قلنا

والآن أين يقع الشعر العربي من كل هذا ؟ الجواب على هذا السؤال يجب أولاً أن ننقض مذهب التحليل من أساسه وهذا ما سنحاوله في المقال الآتي .